13 me Année No. 642

Lundi—22—10—1945

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٤٢ «القاهرة فى يوم الإثنين ١٦ ذو القعدة سنة ١٣٦٤ — ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٤٥» السنة الثالثة عشرة

بركة «الامام» ... !

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى

كان هذا منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، وكنت يومئذ مدرساً للترجمة فى المدرسة السعيدية الثانوية ، وأقبل الامتحان العام — البكالوريا والكفاءة — وعقدت له لجان شتى عُينت ، كغيرى ، مراقباً أو ملاحظاً فى إحداها ، وكان أخى طالباً ، وعليه أن يؤدى الامتحان فى إحدى هذه اللجان .

واتفق أن دعيت أسرتنا كلها إلى عرس قريب لنا ، بيته مجاور لبيت صهرى ، فذهبنا منتبطين جذلين ، ولكنى كنت فى قرارة نفسى مشفقاً من سهر الليل ، وكيف يؤدى أخى امتحانه وهو لم ينم ؟ وكيف أقوى أنا على المراقبة والكرى مرنق فى عينى ؟ غير أنى لم أر لى حيلة ، فتركت الأمر المقادير ...

وألفيت فى بيت قريبنا هذا نفراً من الإخوان ، فانتحيت بهم ناحية من الحديقة ، وجلسنا بين الخضرة والماء ، نسمر ونضحك ، والعريس وأبوه يلحان علينا أن نخرج فنكون مع الجمع الحاشد لنسمع غناء الشيخ يوسف المنيلاوى — بلبل زمانه — ونحن نأبى كل الإباء أن نتزحزح عن مكاننا لجماله ، ونطلب أن يقدم إلينا الطعام ، حيث كنا بلا كلفة .

وجاء — قبل الطعام — رجل من أهل طنطا لا أعرفه ، يرتدى جبة وقفطاناً وطربوشاً مثل طرابيشنا نحن «الأفندية» ، وعليه لفة مزركشة ، فحيا وقعد ، وكانت له معرفة ببعض الإخوان ، فصفق أحدهم ودعا بالقهوة — قهوة البن — فلما أقبل الخادم بإبريقها فى يد ، والفناجين فى يد ، وصب من ذاك فى هذه وناولنا ، مال أحد الإخوان على الرجل الطنطاوى وسأله : «معك خلطة ؟»

ولم أكن أعرف ما «الخلطة» يومئذ ، فسألت عنها ، فقيل لى : إنها عنبر ومسك ... ولا أدرى ما ذا أيضاً ، قطرات منها تطيب بها القهوة ؛ فقلت : هاتوا إذن من هذا المسك والعنبر ، فأخرج الرجل زجاجة صغيرة ، ومددنا أيدينا بالفناجين ، فجعل يصب قطرات لكل واحد منا ، فنشكره ...

وكنا جلوساً على الحشايا والوسائد فوق سجادة على الخضرة ، فحسوت حسوة من فنجانتى ، فكرهت طعمها على لسانى ، فقد كانت كلها زيتاً ثقيلا — أو هكذا خيل إلىّ — فأرقت ما بقى فى الفنجانة على الخضرة ، وصحت بالرجل الطنطاوى :

« ما هذا يا شيخ السوء ؟ متى كان العنبر والمسك شراً من زيت الخروع ؟ »

ومضمضت فى بالماء ، وجىء بالطعام ، فأقبلنا عليه كأن لنا عاماً ما طعمنا فيه شيئاً ، وأكلنا ما لا يحسب الحاسب ، وما كنت أنهض عن المائدة حتى شعرت بكظة مزعجة ، فذهبت أتمشى بين

الشجر ، ولكني أحسست بدوار ، فعدت إلى مكاني وملت بشق على الأرض ، فإذا بها تدور كرأسي ، وترقص أيضاً ، وتعلو بي وتهبط ، ففزعت ، وانتفضت قائماً ، وقد أيقنت أني لا محالة ميت ما لم أفرغ ما في جوفي ، وعبثاً حاولت أن أفعل ذلك ، على فرط اجتهادي ، فجزعت ، ولم يبق عندي شك في أن الذي صبه لنا الرجل الطنطاوي على القهوة من هذه « الخلطة » ، ليس إلا نوعاً من المخدرات « كالمتزول » ، فآليت لأخنقنه قبل أن أموت ! وهممت به ، وأنا كالمجنون ، فحالوا بيني وبينه ، وصرفوه ، بالتي هي أحسن ، أو بالتي هي أخشن — لا أدري — فما أخذته عيني بعد ذلك!

وجاءوني بليمون زعموا أن عصيره يفسد فعل هذه « الخلطة » فلم أنتظر حتى يعصروه ، وخطفته من أيديهم ، وجعلت آكله بجلده ، ثم قعدت إلى باب الحديقة وأشرفت على حشد المدعوين وتخت الشيخ يوسف ، وقلت أتسلى بالنظر والسماع ، ولكني كنت لا أرى شيئاً واضحاً ، وكان « قوس » السكان يبدو لي كأنه يرسم في الجو دوائر ومربعات ومستطيلات ، وكان صوت الشيخ يوسف كالطبل في أذني . فعدت أدراجي وانطرحت على الأرض ، وكنت أغيب عن وعيي ثم أفيق ، والقوم حولي كأنهم أصنام ، لا ينطقون ولا يتحركون . فأدركت أنهم مثلي أو شر مني حالا ، سوى أنهم أقوى أجساماً أو أقدر على الاحتمال ، أو لعلهم اعتادوا هذه « الخلطة » فهم لا يتأثرون بها كما تأثرت!

ودعوت أحدهم — وكان أهل بيته مدعوين في العرس فالبيت فارغ — أن يذهب بي إلى داره ، وأن يبعث في طلب طبيب ، فهز رأسه وبقي حيث هو ، وعاودني الإغماء لحظة ، فلما أفقت ورأيت أني باق حيث كنت ، وتبينت أن لا أمل في معونة من هؤلاء القوم ، أشرت إلى خادم لمحته خارجاً وطلبت أن يجيئني « بخلطة » أخرى : سكر وخل ... فاستغرب ولكنه جاءني بما أمرت ، فأذبت السكر في الماء ، وخلطته بالخل ، وشربت وقمت أعدو إلى ركن في الحديقة ، فكان الفرج ، فقد اضطربت نفسي ورمت ما فيها يتبع بعضه بعضاً ، حتى خفت أن لا ينقطع .

ونمت بعدها ساعات ، فلما كان الفجر ، قمت إلى بيت صهري لأغتسل وأتهيأ للخروج إلى لجنة الامتحان ، ولأطمئن أن لا يتخلف أخي عن امتحانه ، وخلعت ثيابي لأستريح قليلا .

وإذا بي أرى أخي كالمجنون يصيح بكلام غير مفهوم ، وكان رأسي لا يزال ثقيلا مما مر بي في ليلتي ، فسألته عن الخبر ، فإذا هو مذعور ، ذلك أن خادماً في بيت صهري سرق سترته وحذاءه ، وسرق بنطلوني وطربوشي ، فصار من المستحيل علينا أن نخرج من البيت ، فما لنا فيه ثياب أخرى ، ولا جئنا إلا بما على أبداننا فما العمل ؟ لقد ذهب اللص بثيابنا ، وكأنما تعمد أن يسرق منها ما يكفي لمنعنا من الخروج . وكيف بالله يخرج أخي بغير سترة وحذاء ؟ وكيف أخرج بغير بنطلون وطربوش ؟

وأضحكني هذا ، فإنه أشبه بالنكتة ، أو بما يسميه العامة « القلب » .

ولم يبق إلا أن نحاول أن نستعير من بعض الجيران ثياباً نعود فيها إلى بيتنا ، وهناك نستطيع أن نرتدي غيرها ، ويذهب كل منا في سبيله .

وفعلنا بعد عناء ، فقد كان الناس نياما بعد طول السهر ، فأزعجناهم وكلفناهم شططاً ، ولكن المضطر يركب الصعب .

وقد نسيت أن أقول إن بيت صهري كان على « تخوم العالمين » وعلى مقربة من مسجد الإمام الليث بن سعد ، فارتدينا الثياب المستعارة ، وتوكلنا على الله ، ومررنا بالمسجد ، ووقف أخي يقرأ الفاتحة ، لعلها تنفعه في « الامتحان » ببركتها ، وكنت أنا مغيظاً حنقاً ، فلم يخطر لي أن أقرأ لا الفاتحة ولا سواها ، وإني لأتلفت وإذا بالخادم قاعد على باب المسجد . ولم أعرفه في أول الأمر ، لأنه كان في ثياب غير معهودة نكرته في عيني — ثيابنا المسروقة. فلما استثبت جذبته من ذراعه فنهض ، وعدنا به إلى البيت ، ونزعنا ما عليه من أشيائنا ، ثم سألناه : فاعترف أنه سرق — وهل كان ينقصنا أن يعترف ؟ — وقال : إنه لما بلغ المسجد أحس أنه مقيد ، وألفى نفسه يجلس على الباب ، ولم يستطع بعد ذلك أن يبرح مكانه !

فقال كل من سمع هذه القصة إنها بركة الإمام ؛ وقلت أنا في سري : لعل هذا هكذا ، فما أدري ، ولكني أحسب أن إيمان هذا الخادم بما لأولياء الله الصالحين من البركة والسر ، قد فعل فعله ، وكان له أثره حين مر بالمسجد ، فاضطرب وارتبك ، ولزم مجلسه حائراً ، وكبر في وهمه أن « الإمام » قيده وأقعده عن الحركة .

وقد أمرت زوجتي يومئذ — رحمها الله — على أن تصنع « خبزاً وفولا » لفقراء « الإمام » ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ فلم أعترض . وكيف كان يقبل مني اعتراض ؟

ابرهيم عبد القادر المازني